حجج الإقناع في الوصايا والحكم من النثر الصوفي، الحوار اختيارا

أ.د. زينة عبد الجبار المسعودي، م.م. عبير خالد عيسى
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

الملخص:
هذا بحث مستل من أطروحة دكتوراه نظرتُ في متنها إلى (بلاغة الإقناع في النّثر الصوفي، الوصايا والحكم أنموذجا، حتّى نهاية القرن السَّابع الهجري)، وأدى الحوار فيها دورًا إقناعيًا فاعلاً في التوجيه والوعظ الذي يبلور الرؤية الصوفية الموجهة عن طريق الحوار، بوصفه أحد حجج الإقناع النثري، إذ يتوجه الحوار من المتكلم إلى المُخاطب، في نصّ الوصية أو الحكمة، ليؤدي تأثيره الإقناعي التوجيهي أو التعليمي أو التفعيلي، أو التباحث في قضية من القضايا، والتفاوض فيها فيما يرتبط بجوهر الرؤية الصوفية التي تنسج مآلاتها ضمن نصّ نثري أغلبه توصوي وبعضه حكمي، يتطلع إلى محاكاة الذات الإنسانية، فالحوار لحظة مكاشفة يتمخض عنها تقويم للسلوكيات الإنسانية عن طريق الفكر الصوفي وهو يستمد رؤاه وفكره من روافد الدين والحكمة والفلسفة.
الكلمات المفتاحية: (بلاغة الإقناع، الحوار، النثر الصوفي، الوصايا والحكم)

Summary:
This is a research drawn from the University of (Rhetoric of Persuasion in the Model) in which the dialogue played an effective persuasive role in guidance and preaching, the Sufi vision through dialogue in one of the arguments of prosaic persuasion, where the speaking dialogue addresses its addressee, in a prose text, most of which is the description of some of its rulings to the self Dialogue is a single moment revealing an evaluation of human behavior through Sufi thought, which derives its visions and ideas from the tributaries of religion, wisdom and philosophy.
Keywords: (rhetoric of persuasion, dialogue, Sufi prose, commandments and judgment).

الحوار :

إن الحوار في أبسط تعريفاته: "هو تبادل الكلام بين اثنين أو أكثر. والحوار نمط تواصل: حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي... ويأخذ الحوار في اعتباره الكوادت، (السوسيو- ثقافية للسانية) لتجربة كل واحد وافتراضاته، ووضعية التعبير، كما يستعمل بكثرة الجمل الاستجوابية: (سؤال/ جواب) والناقصة: (حين نقاطع المتكلم) المقاطع المأخوذة من المخاطب"[١]، وأما الحجاج فهو يشترك مع الحوار في محاور عدة تخص المتكلم وأحوال المخاطب ومقاصد القول بينهما؛ لذا جعل من الحوار آلية للإقناع، "فالحجاج هو فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة عملية، إنشاء موجهاً بقدر الحاجة، وهو أيضاً جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة... وأن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها، تعويلاً على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتاً أو إنكاراً كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلم"[٢]، وأن إعداد الحوار آلية إقناعية حجاجية جاء في نتاج جاك موشلر، إذ "تحددت الأسس المرجعية التي حكمت مؤلف جاك موشلر(الحجاج والمحاورة)، عناصر من أجل تحليل تداولي للخطاب في: أعمال مدرسة جنيف التي تخلقت حول إيدي رولي، واشتغالها المركزي على المحاورة، أعمال فلاسفة اللغة أوستن وغرايس وأعمال أنسكومبر وديكرو، أساسًا عملهما الحجاج في اللغة، الأمر الذي يكشف عن الاختيارات التداولية والحجاجية التي يتوسلها المؤلف في مقاربة موضوعه، ويتحدد هذا الموضوع في تحليل الخطابات الحوارية الشفوية. فإذا كان اللسانيون قد تلافوا غالبًا الخطابات الشفوية إما لتعقيدها أو عدم انتظامها، فإن جهود مدرسة "جنيف" التي ينتمي إليها موشلر باتجاهها نحو الخطابات الحية، قد أثبتت بأن الحوار الشفوي ليس أقل انتظاما. يقول موشلر: أعتقد فعلا، وأتمنى كذلك أن تكون التحليلات المختلفة للحوارات المبثوثة في هذا المؤلف قد أقنعت القارئ أن المشاركين في الحوار الشفوي يخضعون لعدد معين من القواعد العامة، والتي يصبح ممكنًا، انطلاقًا منها، تطوير نحو للخطاب أكثر انتظامًا، إن الحوار كما يعرفه موشلر هو نوع من التفاعل اللفظي، يُلزم فيه المتخاطبون بأن يجادلوا، وأن يسجلوا نقاطًا على بعضهم البعض وأن يفاوضوا للوصول أو عدم الوصول إلى حلول"[٣].

وللحوار عند الصوفية حظوة كبيرة فهو وسيلة العرفاء في التفنن بأساليب الوعظ والتوجيه فتغدو أقوالهم وحواراتهم على اختلاف ما يملكونه من الأسرار دساتير تعبر عن علومهم وطرقهم، وفي أحايين كثيرة ينتجُ عنها طرائق تعبيرية مختلفة، لتبين لنا حال المتكلم، ومقام المخاطب، يقول ابن عطاء الله السكندري في حكمه: "تسبق أنوار الحكماء أقوالهم؛ فحيث صار التنوير وصل التعبير"[٤].

ويقول: "العبارات قوت لعائلة المستمعين، وليس لك إلا ما أنت له آكل"[٥]، ويكون الحوار مادة للإقناع، تُبسط فيه الحجج وتنشر، ليتحقق للحوار غاياته الإقناعية بين أطراف المتحاورين، و"إن الحوار في الأدبيات الحجاجيّة المعاصرة هو عبارة عن متوالية من الرسائل أو أفعال الكلام يتداولها واحد أو أكثر من المشاركين. أو قُل إنه فعالية لغوية اجتماعية وعقلانية غايتها إقناع المعترض العاقل بمقبولية رأي من الآراء، وذلك عبر تقديم جملة من القضايا المثبتة أو النافية لما ورد في هذا الرأي من قضايا. ويكون الحوار بوجه عام بين طرفين، الأول يسأل والثاني يرد، ويتعين فيه أن يكون ذا هدف يتعاون الطرفان من أجل تحقيقه، ويلتزمان لأجل ذلك بجملة من الضوابط والمقتضيات"[٦]، وهناك مراتب من التفاوت في الإقناع بين الحوارات ذات الموضوعات المختلفة، وبين الحوارات ذات الطابع الإسلامي بشكل عام والصوفيّ بشكل خاص، إذ غالبًا ما تتبع الإقناع فيهما إشكاليات مختلفة، "فبين الإقناع والفهم، هل يمكن أن يعاد تأسيس مفهوم «عقائدي» للحوار بحيث يناط به أن يكون آلية منهجية لإعادة صناعة «علم العقائد» ليخفف منها الشغف لإقناع الخصوم العقائديين وتخطئة ما لديهم، وذلك لصالح فهم عقائدهم ومعرفة سياق نشأتها وخلفياتها وبالتالي استيعابها حوارياً؟ من حيث المبدأ يحق لكل واحد أن يعتقد ما يشاء، ويحق له أيضاً أن يسعى إلى إقناع غيره بما يعتقده، شريطة أن

يتفق المتحاوران على الدخول في نمط حواري مخصوص يصطلح عليه بالحوار الإقناعي أو المحاورة النقدية. وهذا النمط الحواري يشبه إلى حد بعيد أسلوب المناظرة العربية القديمة، حيث يحق في هذا النمط الحواري لكل طرف أن ينتصب للدفاع عن دعوى يدعيها، ويسعى إلى إقناع الطرف الآخر بدعواه عبر سلوك مسلك الحجاج المنضبط بجملة من القواعد المسلم بها من الطرفين"(٧).

إن الحوار باعتباره مفهومًا يحمل أبعادًا لغوية وأدبية وحجاجيّة فإن الاعتراف بتأثيره الإقناعي في المتون الصوفيّة لابد منه ولاسيما مع النِّفَّري*، فهو القائل في إحدى وقفاته: "كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة" وهي كما يسميها الناقد والمترجم سعيد الغانمي بـ"مكيدة العبارة الضيّقة"، إذ كانت مواقف النِّفَّريّ بابًا للإلهام الحواري القائم على الوقفة بضيق عبارتها واتساع حواريتها التي تُفضي إلى الرؤية، فكلما ضاقت العبارة اتسع التأويل.

وصاغ لنا النِّفَّريّ في المواقف حوارية كبرى ترتكز على بؤرة واحدة أساس في القول، وهي عبارة (أوقفني وقال لي)، وتجعل هذه الوقفة "من الحوار ممارسة نصية للنفري بالبداية التالية: أوقفني في... وقال لي. وتمثل هذه البداية لازمة تفتتح بها كل وقفة، كما تتكون الوقفة من شذرات مكثفة يتم الانتقال فيها بعبارة وقال لي، وتظل التيمة التي تدور حولها الوقفة هي الوصل بين هذه الشذرات المكثفة"(٨).

وألهم بها النِّفَّريّ غيره من المتصوفة في التأليف على غراره، مثل ابن عربي الذي أعاد الوقفة بالمشهد في كتابه مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية، و"لا يُخفي ابن عربي إعجابه بعبد الجبار النفري وبكتاب المواقف، فقد تكرر احتفاؤه به في تآليفه. كما تكفل مريده الشهير إسماعيل بن سودكين بنسخ كتابات النفري حماية لها من الضياع. وإلى جانب تصريح ابن عربي بمكانة النفري وبعمق تجربته، فقد سعى إلى إعادة كتابة مواقفه ومخاطباته، أي أن هذا التصريح كان يعضده اشتغال نصوص النفري في كتابة ابن عربي اشتغال اختلفت درجة ظهوره من مؤلف لآخر"(٩).

يقول النِّفَّري في وقفة الحجاب: "أوقفني وقال لي: حجابك كل ما أظهرت، وحجابك كل ما أسررت، وحجابك كل ما أثبت، وحجابك كل ما محوت، وحجابك ما كشفت، كما حجابك ما سترت.

وقال لي: حجابك نفسك، وهو حجاب الحجب: إن خرجت منها، خرجت من الحجب، وإن احتجبت بها، حجبتك الحجب.

وقال لي: لا تخرج عن نفسك إلا بنوري. فيخرج الحجاب نوري، فتراه كيف يحجب وبما يحجب. وقال لي: إذا خرجت معنويتك، تبعها كل حجاب. فإن كان مقرها في حجاب، أقرت فيه، وقال: يا رب! أنا كنتُ لها حبساً وفي كانت تقر. فأرددها إلى حبسها، وأقرها. فأقول: يا نفسي! ارجعي إلى حبيبك، وقري فيما كان فيه مقرك.

وقال لي: يا عبد، من رآني وشهد مقامي، حرم عليه جل الطعام في حجابي.

وقال لي: يا عبد، لا تقف في حجابي.."(١٠).

يتخذ النفري من وحدة القول أساسًا حواريًا بكل وقفة ليمنحها هذا المد المنتظر من المتأمل، فكل وقفة تزخر بهواجس روحية تُنبئ عن حيرة المريد وتساؤلاته التي كل أجوبتها احتمالات لا قطع فيها، إلا بعد أن يُجاهد لتتكشف له الحُجب، إذ "أن وقوفه في الحجاب ليس هو بأن يكون محجوبًا حالة وقوفه في الحجاب، بل هو إذ ذاك مشاهد لحقائق الحجاب، ثم اعلم أن الطائفة الذين احتجب (أي الحق تعالى) عنهم بنفسه لم يخالفوا الطائفة الذين احتجب عنهم بخلقه إلا في مجرد الاعتبار، فإن كلا من الفريقين دفع نظره على عالم الصور من لدن العقل الأول إلى نقطة مركز الأرض..."(١١)، إن وقفة الحجاب تبين عن الفكر الصوفي ورؤيته عن الحجب، إذ أن "تصور أهل التصوف أن بين الله وخلقه حجباً متعددة، واختصار المسافة بين الخالق والمخلوق والحصول على السعادة إنما يحصل بالخروج من التجزؤ إلى الوحدة والانسجام ولاستكمال ذلك لا بد من إزالة هذه الحجب التي تقف بين الخالق وعباده والتوحد به، إن الأنقى والأنقى من عباد الله والأظهر بصراً وبصيرة يتجاوز الحجب إما بنعمة من الله أو بالمجاهدة والممارسة الصوفية إلى دوائر الكشف والمشاهدة تسبغ أنوارها كما أسبغت على الرسول العربي الكريم عندما تجاوز سدرة المنتهى في عروجه إلى الحق وانخطافه إلى ذلك النور الأعظم في قصة المعراج المعروفة"(١٢)، ويُشرك النفري -إلى جانب تبادل القول بين (المتكلم -المخاطب)- أسلوب النهي: (وقال لي: لا تخرج عن نفسك إلا بنوري) بالنهي تارة، والنداء بقوله: فأقول: يا نفسي! ارجعي إلى حبيبك، وقري فيما كان فيه مقرك. تارة أخرى، لما يتسم به الأسلوبان من مناورة حوارية بين المتكلم والمخاطب.

والنفري في الوقفات يستخلص من اللغة كل ما يصلح لعقد هذه الحوارية لغة وأسلوبًا ومضامين يُبرهن من خلالها لأهل السلوك سمو الغايات وما على السالكين اغتنامه في هذا الطريق، فتكثيف العبارة الحوارية عند النفري إلى جانب الاستثمار اللغوي الكبير من الحرف إلى المعنى ومن ثم إلى الحرف ثانية، حقيقة وحقيقة خاصة هكذا بهذا المدار من التعاقب اللغوي والمعنوي تحصل فاعلية إقناعية، تشكل هدفًا حجاجيًا، يجسد لنا قناعات متوالية بتوالي وحدة القول على المستمع بقيم التصوف ورؤاه ومعاييره الإنسانية الروحية والأخلاقية، وإن "مواقف النفري، التي اشتغل التكثيف في بنائها، تفردت بتأملها لمأزق اللغة من داخل الاصطدام بحدود الحرف، فالحرف بالنسبة للنفري حجاب في كليته وفرعيته، لأنه سوى يتعين الخروج عنه...، الحرف في هذه التجربة، يحول دون اللقاء المباشر مع المطلق، وبلوغ الوقفة في هذه التجربة لا يتم إلا بعد التخلص من كل وساطة، والوقفة هي ما بعد الحرف يبلغها النفري بعد تحرره من الحجب. ولكن أليس من المفارقة أن الوقفة تقدم نفسها من خلال الحرف؟ إن تأمل هذا السؤال هو ما يمكن من الاقتراب من وظيفية التكثيف في المواقف، كما في الكتابة الشذرية* الصوفية على نحو عام"(١٣).

ويقول في موقف البحر: "أوقفني في البحر فرأيت المراكب تغرق والألواح تسلم، ثم غرقت الألواح، وقال لي لا يسلم من ركب.

وقال لي: خاطر من ألقى نفسه ولم يركب.

وقال لي: هلك من ركب وما خاطر.

وقال لي: في المخاطرة جزء من النجاة، وجاء الموج فرفع ما تحته وساح على الساحل.

وقال لي: ظاهر البحر ضوء لا يبلغ، وقعره ظلمة لا تمكن، وبينهما حيتان لا تستأمن.

وقال لي: لا تركب البحر فأحجبك بالآلة، ولا تلق نفسك فيه فأحجبك به.

وقال لي: في البحر حدود فأيها يقلك؟
وقال لي: إذا وهبت نفسك للبحر فغرقت فيه كنت كدابة من دوابه.
وقال لي: عشقتك إن ذللتك على سواي.
وقال لي: إن هلكت في سواي كنت لما هلكت فيه. وقال لي: الدنيا لمن صرفته عنها وصرفتها عنه، والآخرة لمن أقبلت بها إليه وأقبلت به علي"[١٤].

يتظافر الحوار بين الأنا والآخر باستراتيجية إقناعية توجيهية، ففي وقفة البحر و"هذا الموقف جميعه هو لأهل البداية في السلوك، وما يتعلق بتصحيح النية فيه، وشرح ما يعرض للسالكين من ثمرات تصحيح النيـة أو ضد ذلك. والبحر على هذا هو ما يقطعه العبد ويسافر فيه في أثناء سلوكه"[١٥]. وذلك لأننا أمام نصّ نثري تتعدد فيه هوية الموضوع، فهو نص حكمي بامتياز فضلا عن الوصية، وبهذا فقد اكتسبت هذه المواقف أهميتها من كونها نصًّا سابقًا لنوع الكتابة في عصره، إذ "يمكن تحديد الأنواع الفنية للنثر في عصر النفري بالخطابة، والترسل، والاحتجاج، والحديث. الأشكال النثرية التي يتأطر فيها النثر الصوفي هي التي تهيمن فيها القيمة الأدبية، فهي: العبارات، والأحاديث، والأجوبة، والمحاورات، والوصايا والنصائح، والأدعية والمناجيات، والأوراد والأحزاب، والرؤى والمنامات، والحكايات، ونصوص الحكمة والإرشاد، والرسائل والمكاتبات، والقصص، والكتب، والرثاء، والحكمة، وأدب الزهد، وأدب النفس، وهذا التنوع هو أحد ملامح الأدب الصوفي البارزة لأن سعة التجربة الصوفية وشمولية وعيها الديني، وموقفها الاجتهادي من الشريعة، جعل فكرها يستعصي على الركون إلى جنس أدبي"[١٦].ومن ذلك نستنتج صواب الاختيار الذي عمد إليه النفري في وقفاته، وذلك من خلال اتخاذه الحوار مُرتكزًا أسلوبيًا للتواصل، حيث "قدم لنا النفري عبر نمط حواري غير مألوف عند معاصريه أو من سبقه من المتصوفة فلسفته القائمة على الوقفات والرؤية لفهم آلية الظفر بالتواصل مع الله، والوقفة في فلسفته مشتقة من الوقوف والواقف هو المنتظر لتلقي الخطاب الإلهي، وهو ذلك المريد المتجرد من حب الذات أو السوى أو الغير والمنغرس في عوالم الغيب دون حجب، ويقف في حالة تهيء واستعداد لتلقي الخطاب الإلهي. وتتحقق هذه العملية الحوارية في مدارج روحية لا محل للآخر فيها إلا إذا كان من ضمن مفردات هذا الخطاب، فبناء الملفوظ وتأويله نشاط متعدد الأطراف يستلزم قيام علاقة تواصلية بين طرفين على الأقل أحدهما (متكلم) والآخر (مخاطب) وحضور كل طرف منهما يظل حضوراً ممكنًا، أي متحققا بالقوة حتى لو لم يتحقق بالفعل، وحتى في المونولوج الداخلي يظل حاضراً، وحتى مع غياب المتكلم حسيًا وبصريًا عن مدارك المتلقي أو القارئ يظل حاضرًا في وعيه وتفكيره وهكذا تصبح العلاقة بين المتكلم والمتلقي علاقة انفصال واتصال في آن واحد، يقول: "يا عبد انتقل بقلبك عن القلوب التي لا تراني إنّ لي قلوبًا أبوابهم إلي مفتوحة، وأبصارهم إلي ناظرة، تدخل إلي بلا حجاب، هي بيوتي التي فيها أتكلم بحكمتي، وفيها أتعرف إلى خليقتي، فانظر قلبك فإن كان من بيوتي فهو حرمي، فلا تسكن فيه سواي، لا علمي، فليس علمي من بيوتي، ولا ذكري، فليس ذكري من بيوتي، إنك إن أسكنت فيه ساكنًا حجبتني فانظر ماذا تحجب"[١٧]. ويقول في وقفة الوقفة: "أوقفني في الوقفة وقال لي: إن لم تظفر بي أليس يظفر بك سواي.
وقال لي: من وقف بي أليست الزينة، فلم ير لشيء زينة.
وقال لي: تطهرْ للوقفة وإلا نَفَضَتْكَ.
وقال لي: إن بقي عليك جاذب من السوي لم تقف.
وقال لي: في الوقفة ترى السوى بمبلغ السوى، فإذا رأيته خرجت عنه.
وقال لي: الوقفة ينبوع العلم فمن وقف كان علمه تلقاء نفسه، ومن لم يقف كان علمه عند غيره.
وقال لي: الواقف ينطق ويصمتُ على حكم واحد.
وقال لي: الوقفة نورية تعرف القيم وتطمس الخواطر.
وقال لي: الوقفة وراء الليل والنهار ووراء ما فيهما من الأقدار.
وقال لي: الوقفة نار السوى فإن أحرقته بها وإلا أحرقتك به.
وقال لي: دخل الواقف كل بيت فما وسعه، وشرب من كل مشرب فما روى، فأفضى إلي وأنا قراره وعندي موقفه.
وقال لي: إذا عرفت الوقفة لم تقبلك المعرفة، ولم يتألف بك الحدثان.
وقال لي: من فوض إلى في علوم الوقفة فإلى ظهره استند، وعلى عصاه أعتمد.
وقال لي: إن دعوتني في الوقفة خرجت من الوقفة، وإن وقفت في الوقفة خرجت من الوقفة..."[١٨] هذه الوقفة تمتد على سبع صفحات كغيرها من الوقفات تمتاز بتكثيف العبارة الواحدة وطول النّفس الكتابي في امتداد يُشعرنا بكمية الأنس الذي عليه الواقف وكأنه ملتذ بكل توجيه وقول مبثوث إليه، ولطول هذه الوقفات اجتزأت منها ما يوضح القصد ويُفهم المعنى المراد منها، يبدأ وهو يُحيل إلى الله بوحدة القول (قال لي) ليكن مُذعنًا مُنصتًا فهو يمنح ضمير القول ليبقى على انصاته وبذلك يحقق النفري اسلوبًا خاصًا بكتابته يبدأ الوقفة (بأن لم تظفر) ليمنح هذه العلاقة موجهات تحافظ عليها من كل ما قد يعتريها ويشوبها، و"معناها إن لم تظفر بي فقد أخذتك القواطع وظفرت بك الموانع، ولنذكر شيئًا من معنى الوقفة هي مقام فنـاء ذات الطالب في ذات المطلوب..."[١٩]. وبهذه اللغة تشتمل الوقفات على انبثاقات هذه المعاني الأنسية بتوجيه ونهي وتعليم خاص، تتحقق الرؤية به وينتظم السلوك وتغدو الوقفة خُلَّة*. وبهذا التسليم الذي يمنحه النفري من ذاته لذاته يمنح المتلقي للمواقف بُعدًا اقناعيًا دون أن يجادل أو يبرهن أو يُحاجج بأي حجة علينا أن نتوقعها، بل يأتي بالحوار فقط وبتكرار فعل القول فقط فيقودنا إلى أوسع ميادين الاقناع وهو حضور النفس بكليتها امام وحدات القول مسلمة مُذعنة وهذا الاختيار اللغوي الحواري فيه ما فيه من الفطنة إذ جعل النفري المتلقي دون أن يشعر مستقبِلاً فقط معطلاً فيه خاصية البثّ، من خلال تقمصه هو لهذا الدور بتماهٍ عال ليجعل كل متلقٍ منا وواقفًا وقفته صامتًا صمتته ف:"لم يكتب النفري « المواقف » و « المخاطبات » بمعنى الإبداع الذاتي: إنـه لـم يـخـلـقـهـا مـن عـدم، لـم يكـتـبـهـا بـوصـفـه ذاتاً خالقـة للمعنى ومتحكمة في تنظيم الدلالات وتأليف الخطاب. إنه يكتبها إذ ينصت لها، إذ يستجيب لنداءاتها ويقف مندهشًا على عتباتها. إنه يكتب رغبة اللغة في الانبثاق، كيف نفهم الآن هذه المفارقة؟ كيف يكتب الكاتب لا كخالق للغة وصانع للكلمة، بل كمنصت لانبثاق

اللغة وانكشافها بوصفها لغة الآخر المطلق اللامحدود بهذا يكون النفري مُحدثًا للدلالة العميقة لكتابة «المواقف» و«المخاطبات» هي العلاقة باللغة. وتؤخذ هنا اللغة بوصفها هامشاً للكينونة الإنسانية"[٢٠].

ويظل الحوار آلية اقناعية يتمسكُ به النثر الصوفي لما يمنحه له من أفق تعبيري حجاجي في آن واحد معًا، يُعبر فيه عن مآلاته المتعددة وينافح به عن معتقداته وتأويلاته المختلفة بإشكالياتها الجدلية المعروفة، في وصايا المحاسبي نجد حضورًا لافتًا للحوار يقول في وصية له في بيان العقل وصفته :" قلت: رحمك الله، أخبرني عن العقل[٢١] ما هو؟

قال: اختلف الناس في ذلك قلت: فما الجواب عندك؟

قال: العقول: أنوار بصيرة أسكنها الله عز وجل القلوب، يفرق بها العبد بين الحق والباطل، في جميع ما يرد عليه من خطرات قلبه، ونزغات عدوه، ووساوس نفسه، وما تعبد برعايته.

قلت: فالعقول تكتسب، وكل من طلب العقل لحقه، وكيف له علمه، وخبرني عنها محدثة هي أو قديمة، أهي مكتسبة أو موهوبة؟

قال: إن الله تعالى خلق العقول وقسمها بين عباده، مواهب أسكنها القلوب، فمن ثم قلنا: عقلت القلوب عن الله بالمواهب، وبالعقول نيل حسن المواهب، وبالعقول ينبعث على الجد في المكاسب.

قلت: رحمك الله، خبرني عن العقل ما هو؟

قال: نعم يا فتى، إن العقل صفة تدل على معنى موجود في صواب القول وخطئه، وليس بجسم ولا حاسة بحسها، ولا ينظر إليها، ولكن تعرف الجسم كما تعرف الطبيعة"[٢٢]

الناثر الصوفي والعارف المتصدي لخلق مادة توجيه وترسيخ ومناقشة للقيم الاسلامية بروح صوفية تتخذ من التأويل والكشف والمشاهدة والالهام روحًا تسري بالمعرفة والعلم داخل النصّ النثري الصوفي وهو يحمل على عاتقه مهمة التأثير والاقناع بجمهور من المخاطبين بينهم من هم بمرجعيات صوفية (المريدين)، ومنهم بمرجعيات فقهية وكلامية وفلسفية وتفسيرية ومنهم من غير ذلك وكل من ذكرنا هم بحاجة إلى بسط القول وتكثيف روح الحوار والتناظر والتخصيص بالقول في الشرح والاستدلال والبرهنة على كل المثارات التي تستنطق نوع المخاطبين الذين ذكرتهم وبخاصة في موضوعات النفس، والعقل، وحقيقة الحقائق(الحقيقة المحمدية)، والإشراقية، والقول بالحلول... إلخ، يستعمل المحاسبي في وصيته التي يريد فيها بيان العقل وأهميته وهو يعلم جليًا بأنه سيقول في مسألة العقل قولا خاصًا به وقراءة تأويلية خاصة به باعتبار مرجعيته الفكرية (الصوفية) وطريقتها في التأويل لذا اتخذ من الحوار وطريقة السائل والمجيب مادة للاستلال والبرهنة لاسيما وان الحوار كان مباشرًا بين السائل والمجيب دون واسطة تقلل من تفاعلية العملية الحوارية بينهما التقسيم الاستفهامي للقول"

"قلت: رحمك الله، أخبرني عن العقل ما هو؟

قال: اختلف الناس في ذلك.

قلت: فما الجواب عندك؟" يستمر هذا التناوب الحواري بواسطة اسلوب الاستفهام بأدواته المختلفة بشكل مباشر تخلق متابعة تواصلية يكاد لا ينفك المتلقي للوصية من متابعتها حتّى النهاية وهذه الحجة الموجهة المباشرة أجدها في الوصايا الصوفية إلى جانب البرهنة والاقناع الذي تكتسبه لنفسها من متلقيها هي تسند الاقناع بجانب تشويقي عالٍ فهي لا تُجيب جملة واحدة بل تطول الوصية وبطولها يطول مشهد القول والتحاور والتساؤل بين الطرفين عن مسالة واحدة حتّى تكون المحصلة حصول الإقناع بعد إجراء حجاجي مكثف.

يقول في وصية له ايضًا "قلت: رحمك الله، ما صفة الإخلاص؟

قال: خروج الخلق عن معاملة الرب عز وجل، والنظر إلى ثواب الله تعالى، لا يريد بذلك حب محمدة، ولا كراهية مذمة.

قلت: لم سمي الإخلاص إخلاصاً؟

قال: لأنه زايل العمل من الانتقاص.

قلت: زدني بياناً قال: لأنه خلص العمل من الآفات، كما تقول العرب: فلان أخلق لفلان المحبة، أي: لا يمازجه غيرها. وهكذا لا يمازج عمله رياء، ولا سمعة، ولا إعجاب، ولا حب محمدة، ولا كراهية ذم، لأنه خلصه من الأدناس.

قلت: فالإخلاص فرض أو فضيلة؟

قال: الإخلاص لله عز وجل واجب لازم في جميع الأعمال، لأن الله عز وجل يقول: [**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**]{البيّنة:٥}، وقال تعالى:[**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**]{الكهف:١١٠}. فكل من داخله في عمله إعجاب أو رياء، أو حب محمدة، أو كراهية مذمة في إسقاط المنزلة فليس بمخلص في عمله..."[٢٣].

في هذه الوصية يستمر المحاسبي بالتساؤل كعنصر من عناصر الحوار، وبالتبادل والتناوب في التساؤلات وتحقق الاجابات المرجوة يُرسخ المحاسبي ماهية الإخلاص لدى المتلقي وعلى وتيرة واحدة وبنمط حواري واحد يُحقق الاقناع بعد ان يُعزز نسج الوصية وبناءها بإسناد حجاجي ومن اعتقاد المخاطب الِّدينيّ وذلك في توظيفه للنصّ القرآني كحُجّةٍ فصل بين السائل والمجيب فيقول :"الإخلاص لله عز وجل واجب لازم في جميع الأعمال، لأن الله عز وجل يقول :(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين...)، وقال تعالى :(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) فكل من داخله في عمله إعجاب أو رياء، أو حب محمدة، أو كراهية مذمة في إسقاط المنزلة فليس بمخلص في عمله. وبهذا نلحظ ان الشغل الشاغل للموصي هو حمل المُوصى على الاقناع فلا يكتفي بآلية حجاجيّة واحدة كالحوار بل يبني داخل الحوار حجة الشاهد لإسناد النص الخطاب بدعامة حجاجيّة اقناعيّة لا يمكن لمتلقيها الافلات من توجيهاتها الحافلة بالبرهنة العالية.وهذه اكبر الغايات الإقناعية التي يريد المتكلم تحقيقها مع المتلقي، "إنما المتكلم إلى إقناع المتلقي أو إغرائه أو حمله على الإذعان دون اقتناع حقيقي، ونجاعة هذا الخطاب إنما تكمن في مدى قدرته على اقتحام عالم المتلقي وتغييره، إذ أن الحديث عن وضعية ما خارج الخطاب يمكن أن ينتهي بتغييرها لا على مستوى الفكرة فحسب بل على مستوى الوقائع وهذا يعني حقيقة لا سبيل إلى دحضها هي ارتباط الخطاب الحجاجي بوضعية كل من الباث والمتلقي وتعتبر نظرية برلمان في هذا المجال هامة ومفيدة ذلك أنه تناول مسألة خاصيتي التفاعل

والتحاور في كل خطاب حجاجي.- ويذهب برلمان إلى أن الخطاب الحجاجي وهو يلزم الباث بوجهة نظر معينة ويتخذ من إقناع المتلقي بها هدفًا أساسيًا - وهو ما يقترب كثيرا في نظرنا من النظرية البلاغية القديمة وتحديدًا من حديث القدامى عن خصال الخطيب أو المتكلم عمومًا وأصناف المخاطبين ومقتضيات المقام- وهما العنصران المكملان لعنصر العبارة أو الأسلوب، وعنصر المقام والأحوال."[٢٤]

وإلى النصف الأول من القرن السابع الهجري ومع القطب العارف أبو الحسن الشاذلي في وصاياه حيث يستمر الحوار بمنح النثر الصوفي بعدًا اقناعيًا يقول: "قال: لتكن همتك ثلاثًا: التوبة والتقوى والحذر، وقوها بثلاث: الذكر، والاستغفار، والصمت، عبودية لله تعالى وحصن هذه الست بأربع: الحب، والرضا، والزهد، والتوكل.

وقال: إذا فاتتك التقوى في الاستقامة فلا تفتك في التوبة والإنابة.

و قال له: ألق بنفسك على باب الرضا، والخلع من عزائمك وإرادتك، حتى عن توبتك بتوبته، قال الله تعالى: « ثم تاب عليهم ليتوبوا » [التوبة: ١١٨]. وقال ﷺ: اللهم إني تبت إليك فأعني وقيدني وقوني وانصرني وثبتني واعصمني واسترني بين خلقك ولا تفضحني عند رسولك، فقيل لي: إنك مشرك، قلت: كيف؟ فقيل: إنك خفت الفضيحة عند الخلق؛ فإنها تخاف أن يفضحك الله بين الناس، وليكن قلبك متعلقا بالله لا بالناس، وتعلم أن أحدًا منهم لا ينفعك ولا يضرك؛ فما دام قلبك متعلقًا بعلمك وقدرتك وقوتك وجدك واجتهادك، فلست براج الله حتى تيأس من الكل متعلقًا بالرجاء في الله في كل نفس، فتجد الروح والمدد من الله، وإن لم تنل حاجتك؛ ويقطعك بذلك النور عن النظر إلى غيره، ويضيق عليك "[٢٥].

يستحيل الصوفي كلّه ذائبًا متماهيًا منصتًا وهو يتلاشى كليًا تحت القول الموجه اليه ويسأل مرة على استحياء وفي الأخرى لا يسأل يكثف لنا (قال وقال وقال) دون أن تبرز لنا ذاته بأي حال من الأحوال خاصة وهو يتخذ من موضوعة (التوبة) مجالاً للتحاور والتساؤل لكن أي تساؤل أنه تساؤل مضمر يطوي فيه الصوفي هوية ذاته ليستحيل روحًا فقد تذوب فيما تتلقى وهذه هي الغاية لدى المتصوفة الكمال في الحب أن تغدو روحًا وتتحرر من انسانيتك وتناقضاتها شيئًا فشيئًا، والتصور الاسلامي يقبلك بكل صورك ويرحبّ بك ليعيدك من شتاتك إلى ذاتك، يُغيّب الشاذلي في وصاياه هوية المخاطب فلا نعلم من هو، وماذا سأل فهو يفترض على نفسه أن يستمع إلى ما يُلقى اليه وفي الحقيقة إنها من أعلى تمثلات اللغة لدى الصوفية فهم يتفننون بها كيفما أرادوا من أجل أن تحققَ تضامنًا روحيًا بين المتكلم والمخاطب يحملُ به المتكلم الآخر بكل هدوء إلى الاقتناع التام فهو من خلال أفعال القول المتكررة والتي ينسبها دائمًا إلى جهة أعلى منه رتبة، ومن خلال النصوص ذات السلطة الأعلى على جمهور التلقي الاسلامي ذي المرجعيات الدينية الاسلامية التأكيد والبرهنة بنصوص من القران الكريم والحديث النبوي الشريف كما واضح أعلاه في نصّ التوبة فلا مناصَ لمتلقيها من الاقتناع التام والتسليم بالوصية وما ورد فيها.

وفي وصية أخرى يتحدث فيها عن آداب الفقد والوجد يقول:" قال له: اعلم أن الفقد والوجد يتعاقبان علينا كتعاقب الليل والنهار، ومدار هذه الأمور على أربعة: كن شاكرًا لأنعم الله إذا وجدت، وراضيًا عن الله إذا فقدت، وباذلاً للفضل إذا رزقت، ولا تحزن على الشكر فيحزن عليك، واحزن بالأمانة إذا أردت، واسلم وجهك إلى الله في كل أمر قصدت: «فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله" آل عمران:٢٠،ولا تكن عابدًا مكابدًا ولا زاهدًا معاندًا ولا عاصيًا متمردًا ولا مفتريًا جاحدًا، فإن حظيت بالأربع الأول فقد دخلت في ثناء الله لقوله تعالى: «شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم [النحل:١٢١] "[٢٦].

يفتتح النصّ بالوحدة اللسانية التواصلية الحوارية في الخطاب الصوفي (قال له) لينفتح الحوار: (قال له: اعلم أن الفقد والوجد يتعاقبان علينا كتعاقب الليل والنهار) فيأتي التشبيه ليؤكد القول بتعاقب الوجد والفقد، فيترابط فعل القول مع الفعل التوجيهي (اعلم)، إلى جانب التقسيم بالعبارة، بقوله: (ومدار هذه الأمور على أربعة: كن شاكرًا لأنعم الله إذا وجدت، وراضيًا عن الله إذا فقدت٠٠٠) وإلى جانب ذلك كله التوظيف القراني في داخل نصّ الوصية، لذا يتخذ الحوار في الوصية عناصر كثيرة دالة على زيادة الاستدلال والبرهنة على جوهر ماشتملت عليه الوصية من دلالات ومعاني صوفية وبذلك تخلص على فرض الاقناع من خلال نتيجة القول بالخلاصة التي يضعها الموصي على المُوصى ويؤكد عليه أنه لا نتيجة لك أن تتوقعها خارج هذه النتيجة، (ولا تكن عابدًا مكابدًا ولا زاهدًا معاندًا ولا عاصيًا متمردًا ولا مفتريًا جاحدًا، فإن حظيت بالأربع الأول فقد دخلت في ثناء الله لقوله تعالى: (شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم) هذا التنوع في تركيب نصّ الوصية من فعل القول والتشبيه، واسلوب النهي (لاتكن)، والتقسيم في العبارة، والتوظيف القرآني، تُزيد فاعلية الحوار في بنية النصّ وتحمل دلالاته على الاقناع حملاً لامناص عنه. إذ يمنح الحوار النصّ ميدانًا أرحب للتعبير عن ثقافة صوفية متنوعة في نصّ واحد، وهذا غير ممكن حصوله في غير حجّة الحوار.

الهوامش:

(١) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط١ ١٩٨٥م: ٧٨.

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٠م: ٦٥.

(٣) بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل: ١٠٩.

٤() الحكم، ابن عطاء الله السكندري، تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول: ١٣٦.

(٥) المصدر نفسه: ١٣٧.

(٦) الحجاج والمُغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، رشيد الراضي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م: ١١١.

(٧) المصدر نفسه: ١٢٠.

* النفَّريّ: شخصية غامضة منتهى الغموض في تاريخ التصوف الإسلامي. ويبدو أنه ارتفع نجمه في النصف الأول من القرن الرابع الهجري. وقد توفي، استناداً إلى ما يقوله حاجي خليفة، في سنة ٣٥٤ هـ، هناك اتفاق بين المصادر على أن اسمه هو محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفَّريّ. ومثل أغلب الشخصيات الإشكالية الكبرى، تغيب التفاصيل الموثقة لحياته. لكننا نستطيع أن نستخلص من المعلومات المتناثرة، أنه عاش حياته زاهداً جوالاً في منطقة سواد العراق الممتدة من المدائن حتى البصرة. ولعل إشارة حاجي خليفة إلى أنه توفي سنة ٣٥٤ هي استنتاج منه يستمده من التذييلات التي رآها على كتبه. ولذلك فإن قصارى ما يستطيع أن يؤكده أي باحث هو أنه توفي بعد سنة ٣٥٤، وأنه عاش الجزء الأكبر من حياته في منتصف القرن الرابع الهجري، عصر الفارابي والتوحيدي والمتنبي وسواهم من كبار الأدباء والفلاسفة، متنقلاً بين نفر والحلة وواسط والبصرة والمدائن. وقد دفعه الإخلاص لتجربته إلى

الإعراض حتى عن تدوينها، فكان يلازمه شيخ آخر، هو ابنه أو ابن أخته، كرس حياته لجمع شذرات شيخه وتهذيبها، لعل اسمه كان محمد بن عبد الله النفري، وهو الآخر شخصية شبحية ربما لم يكن سوى امتداد لشخصية شيخه. ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى أن النفري، وإن كان ولد في نفر، التي اشتقت نسبته منها، فإنه عاش ومات في مصر. وبالتأكيد فإن مثل هذه الملاحظة تستند إلى ما ذكره التلمساني في شرح المواقف...ونسبته النفَّري أو غيرها موضع خلاف، ومن المرجح أن مصدر هذا الخلاف وقوع تحريف وخطأ ارتكبه بعض النساخ، فنقل هذا التحريف، وظل ينسخ حتى أخذ به بعضهم. وهذه هي صيغ كتابة نسبة المؤلف: النِّفَّريّ، النُّفَّري، النَّفْريّ، ويكشف الفحص الدقيق لصفحة عنوان مخطوطة (غوطة) عن احتمال أن تكون الحركة أو النقطة الموضوعة على الحرف الأخير من النسبة مجرد علامة تزويق وتجميل للخط، في نقطة أصغر بكثير وأخفى، يذكر محيي الدين ابن عربي اسم المؤلف أربع مرات في كتابه «الفتوحات المكية» ويرد فيه دائمًا بصيغة: النِّفَّريّ. وعلى هذه الصيغة يتابعه كتاب عرب كثيرون، مثل أحد عن الشعراني وحاجي خليفة والقاشاني والذهبي والزبيدي، ومن بين الدارسين الغربيين، كان «بروكلمان» أول من آثر الاستقرار على صيغة النفري، وإن كان يذكر صيغة النفزي كبديل محتمل. وقد حذا حذوه «مرغليوث»، الذي رجع إلى مخطوطات أكسفورد، ولم يعترض «نكلسون» على ذلك. لكن «ماسنيون» أحيا صيغة النفزي. يُنظر: الأعمال الصوفية، محمد بن عبد الجبار بن الحسن النِّفَّريّ، مراجعة وتقديم سعيد الغانمي، منشورات= =الجمل، بغداد ٢٠٠٧/ حياته، آرثر جون آربري، ترجمة سعيد الغانمي |٣٣-٣٨ ويُنظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مكتبة المثنى-بغداد١٩٤١م: ١٨٩٣/٢.

(٨) يُنظر: الكتابة والتصوف عند ابن عربي، خالد بلقاسم: ٢٠٤.

(٩)ينظر: الكتابة والتصوف عند ابن عربي، خالد بلقاسم: ٢٠٤.

(١٠) الأعمال الصوفية، محمد بن عبد الجبار بن الحسن النِّفَّريّ، مراجعة وتقديم سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٧م: ٣٧٢.

(١١) ينظر: شرح مواقف النِّفَّري، عفيف الدين التلمساني، دراسة وتحقيق: د. جمال المرزوقي، مركز المحروسة، ط١ ١٩٩٧م: ٣٦٦.

(١٢) المعراج والرمز الصوفي، د. نذير العظمة، دار الباحث، د.ت، د. ط: ٨١-٨٢.

*تستند الكتابة الشذرية (l'écriture fragmentaire)، أو الكتابة المقطعية، أو أسلوب النبذة (Aphorisme) كما عند نيتشه، إلى الاقتضاب، والتكثيف، والتبشير، والتركيز، والإرصاد، والنفور من التحليل العقلاني المنطقي، وتفادي الكتابة النسقية. وتعد هذه الطريقة في الكتابة خاصية غريبة عن ساحتنا الثقافية والإبداعية كما تعودنا عليها لسنوات مضت، على الرغم من وجودها في تراثنا العربي بشكل من الأشكال، لاسيما في المنتج الصوفي والعرفاني، والكتابة الشذرية على الرغم من احتفاء النقد الحديث بالكتابة الشذرية بوصفها انفتاحا بين الشعر والنثر وتكسيرًا للحدود بينهما، فإن التنظير لهذا النمط الكتابي يشهد فراغًا بينا إذا ما قيس بعراقة هذا الشكل الكتابي، المتجذر في الفلسفة اليونانية غير الأرسطية، وفي كتابات الصوفية، وفي الممارسة النصية لنيتشه وللرومانسيين الألمان، وإذا كانت الممارسة النصية الحديثة قد سعت إلى ترهين هذا الشكل= =الكتابي وهي تتوسل به في البناء النصّي، فإن تأمله هو الكفيل بالكشف عن رهاناته وإمكاناته. شهد الزمن الحديث عودة لافتة إلى الكتابة الشذرية، وهي عودة لا تنفصل عن أزمات بها تتحدد الحداثة؛ منها أزمة الأجناس الأدبية، وأزمة العمل الأدبي وأزمة الكلية وهو ما يستدعي مقاربة الكتابة الشذرية في ضوء الإبدالات التي حققتها. ذلك ما لا يستقيم إلا باستدعاء تجربة الرومانسيين الألمان الأوائل، فهم من منحوا الشذرة وضعية الجنس الأدبي". ينظر: الكتابة الشذرية بين التنظير والتطبيق، جميل حمداوي، د.ط، د.ت: ٤. وينظر: الكتابة والتصوف عند ابن عربي، خالد بلقاسم: ٢٠٢. وينظر: آليات الكتابة الشذرية عند النفري(مقاربة شذرية)، جميل حمداوي، ط١، ٢٠١٧: ٩.

(١٣) الكتابة والتصوف عند ابن عربي، خالد بلقاسم، ٢٠٩.

(١٤) المصدر نفسه: ٦٤-٦٥.

(١٥) شرح مواقف النِّفري، عفيف الدين التلمساني: ٩٩.

(١٦) ملامح نثر المواقف، د علي موسى الكعبي:

(١٧) يُنظر: فلسفة القول ورمزية التواصل غير المعلن عند النفري، م. د. بدرية ناصر عبد، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، كلية الكوت -الجامعة العراق، العدد١٢، ٢٠٢٢م: ٥٢.

(١٨) الأعمال الصوفية، محمد بن عبد الجبار بن الحسن النِّفَّريّ: ٦٧.

(١٩) شرح مواقف النِّفري، عفيف الدين التلمساني: ١١٥.

* الخُلَّة: مأخوذة من تخلل الود للنفس مع المخالطة. ينظر: المفردات في غريب القران، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت ،ط١ ١٤١٢ه: ٢٩١.

(٢٠) يُنظر: أبعاد التجربة الصوفية، عبد الحق منصف، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧م: ٢٢٣-٢٢٦.

(٢١) قال المحاسبي: العقل غريزة جعلها الله في قلوب الممتحنين من عباده، أقام به على البالغين الحجة، فهو غريزة لا يعرف إلا بفعاله في القلب والجوارح، لا يقدر أحد أن يصفه بغير فعاله وقال قوم من المتكلمين: هو صفوة الروح -أي خالص الروح- وقالوا: لكل شيء خالصة، والخالصة اللب، ولذلك سمي العقل لبًا فقال تعالى: (إنما يتذكر أولوا الألباب)(الرعد: ١٩. الزمر: ٩) -يعني العقول-. قال المحاسبي: ولا نقول بذلك إذ لم نجد فيه كتابا مسطوراً، ولا حديثاً مأثوراً وقال قوم: هو نور وضعه الله طبعاً وغريزة يبصر به، ويعتبر به، نور في القلب كالنور في العين وهو البصر، فالعقل غريزة يولد العبد بها ثم يزيد معنى بعد معنى، وقال قوم: إن العمل معرفة خلقها الله ووضعها في العبد يزيد ويتسع بالعلم المكتسب. قال المحاسبي: والقول بأن العقل معرفة خطأ، لأن العقل لو كان المعرفة لسمينا الحمق والجنون نكرة، لأن النكرة ضد المعرفة، والجهل ضد العلم، فلما امتنع أهل العلم أن يسموا المجنون منكراً جاهلاً، ولا المنكر مجنوناً، ولا الجاهل مجنوناً صح أن العقل ليس هو المعرفة. ومما يدل على أن العقل غريزة: أن الانكار فعل، فكذلك ضده وهو المعرفة فعل، فعنه فعل عن طبع يوجبه الطبع كالضر، كمعرفة الرجل أباه وأمه ونفسه والسماء والأرض وجميع الأشياء التي يعرفها برؤية ولم يعرفها باسم ولا تفصيل، يُنظر: أعمال القلوب والجوارح.

(٢٢) الوصايا، أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي: ٢٥١-٢٥٢.

(٢٣) المصدر نفسه: ٢٥٩-٢٦٠.

(٢٤) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط٢ ٢٠١١م: ٣١-٣٢.

(٢٥) رسالة الأمين في الوصول إلى رب العالمين، القطب العارف أبو الحسن الشاذلي، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الحقيقة، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠٠٨م: ١٦.

(٢٦) رسالة الأمين في الوصول إلى رب العالمين، القطب العارف أبو الحسن الشاذلي: ٢٧.

مصادر البحث ومراجعه:

- أبعاد التجربة الصوفية، عبد الحق منصف، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧م.
- الأعمال الصوفية، محمد بن عبد الجبار بن الحسن النِّفَّريّ، مراجعة وتقديم سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بغداد ٢٠٠٧م.
- آليات الكتابة الشذرية عند النفري(مقاربة شذرية)، جميل حمداوي، ط١، ٢٠١٧م.
- بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٣م.
- الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط٢ ٢٠١١م.
- الحجاج والمُغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، رشيد الراضي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م.
- الحكم، ابن عطاء الله السكندري، تقديم وتحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف، الجزيرة للنشر والتوزيع، مصر-القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.
- رسالة الأمين في الوصول إلى رب العالمين، القطب العارف أبو الحسن الشاذلي، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الحقيقة، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠٠٨م.

- شرح مواقف النِّفري، عفيف الدين التلمساني، دراسة وتحقيق وتعليق: د. جمال المرزوقي، منشورات مركز المحروسة، مصر، ط١، ١٩٩٧م.
- فلسفة القول ورمزية التواصل غير المعلن عند النفري، م. د. بدرية ناصر عبد، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، كلية الكوت - الجامعة العراق، العدد١٢، ٢٠٢٢م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٠م.
- الكتابة الشذرية بين التنظير والتطبيق، جميل حمداوي، منشورات العارف، الرباط- المغرب، ط١، ٢٠١٤م.
- الكتابة والتصوف عند ابن عربي، خالد بلقاسم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، ط١، ٢٠٠٤م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مكتبة المثنى-بغداد١٩٤١م.
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط١ ١٩٨٥م.
- المعراج والرمز الصوفي، د. نذير العظمة، دار الباحث، د.ت، د. ط.
- المفردات في غريب القران، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢ه.
- ملامح نثر المواقف، د. علي موسى الكعبي، عن موقع مجلة طواسين للتصوف والإسلاميات، الرابط:
http://tawaseen.com/?tag=%D9%85%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AB%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B1%D9%8A
- الوصايا، أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق وتعليق وتقديم: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨٦م.